KnE Social Sciences

AICHS
The Second Annual International Conference on Human Sciences (AICHS) / Fallujah During the Ottoman & Iraqi Monarchy Eras
Volume 2020

Knowledge E
enriching | engaging | empowering

Conference Paper

Fallujah and its location from the migration of the Shammari community in 1118 AD/1706 AH

الفلوجة وموقعها من هجرة التجمع الشمّري عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م

Qasim Hassan Abbas al-Shaman al-Samarrai

أ.د. قاسم حسن عباس آل شامان السامرائي

Department of History, College Education /University Samarra, Iraq

قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة سامراء، العراق

Abstract

In the eleventh and twelfth centuries (AH), or seventeenth and eighteenth centuries (CE), Iraq witnessed the entry of a large group of immigrant tribes from the Arabian Peninsula, moving from Najd and Hail towards Iraq. Iraqi historians called them 'Shammar'. The tribes entered Iraq in three batches, the first was in 1050 and the second was 1118 and the third was 1206 (AH). The largest of these migrations occurred in 1118, led by Ghanem al-Hassan al-Khawari, and a huge number of immigrants swept through the Iraqi valleys and caused significant anxiety amongst some Iraqi tribes and arousing the anger of the Ottomans.

Hassan Pasha, the Ottoman minister of Baghdad, led an army to subdue the immigrant tribes. He crossed the Radwani bridge south of Falluja and eventually met them at their gathering site in the al-Mshahid area near Fallujah. There was a major battle which led to the dispersion of the immigrant community throughout Iraq, as well as the Levant and the Mesopotamia. A large proportion of them ended up in the area now known as the Anbar governorate. Many of the people of this immigrant community settled in these large areas from the outskirts of Fallujah to the Syrian Bawadi, and undermined the control of some of the forces known to these areas such as the Mawali. The fact that the battle occured near Fallujah is of great importance, marking the point when the city becomes more widely known. The dispersal of the Al-Ashraf and other migrations were a key development in preserving Arabian Iraq against the attempts to make it Persian.

الملخص

خضعت الأراضي الواسعة الممتدة غربي الفرات من بلدة الفلوجة جنوبا إلى نواحي القائم شمالاً، إلى نفوذ زعامات الاتحادات القبلية القوية، كآل فضل وآل أبي ريشة، وكان ارتباط أكثر تلك المناطق بالإدارة المركزية ببغداد ضعيفا أو معدوما، وقد اهتم ولاة بغداد بإنشاء بعض القلاع والنقاط الحصينة على طريق القوافل تعبيرا عن سيادة الإدارة المركزية في تلك المناطق، وضماناً لا من التجارة، لكن الوجود الفعلي لتلك الإدارة لم يكن يتجاوز بلدة الفلوجة في أحسن الأحوال. وكان العثمانيون قد استحدثوا وحدة إدارية بموجب التشكيلات العثمانية

Corresponding Author:
Qasim Hassan Abbas al-Shaman al-Samarrai
alshamankasim@gmail.com

Received: 12 April 2020
Accepted: 21 May 2020
Published: 14 June 2020

Publishing services provided by Knowledge E

© Qasim Hassan Abbas al-Shaman al-Samarrai. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use and redistribution provided that the original author and source are credited.

Selection and Peer-review under the responsibility of the AICHS Conference Committee.

OPEN ACCESS

الحديثة، إذ اتخذت هذه الوحدة من قرية الصقلاوية على نهر الفرات مركزا لها ثم نقل مركزها سنة ١٣١٢ ه إلى قرية الفلوجة على الفرات أيضاً. وفي الجنوب وتحديدا عند ديار الجبلين (أجا وسلمى) في حائل أو ما تسمى بجبلي شمر، كانت الكثير من العشائر والتجمعات القبلية وقد تجمعت هناك بعد أن أصبحت أرض الحجاز طاردة بفعل الخلافات السياسية والدموية أحيانا. ومن هنا تحركت جموع كبيرة من هذا التجمع ودخل الأراضي العراقية عام ١١١٨ هـ/ ١٠٧٦م واستوطنت في البوادي العراقية ، وقد أطلق عليهم مؤرخو تلك الحقبة على هذا التجمع المهاجر اسم شمر.

هذا الدخول لم يرق للسلطات العثمانية ولا للعشائر الفراتية وشيوخها، الذين حرّضوا السلطات العثمانية على التصدي لهم ، فما الذي جرى بعد ذلك ؟ ذلك ما سنتناوله بالتفصيل في بحثنا هذا.

Keywords: (Al-Radwany bridge , Hassan Pasha , Al-Falluja , Al-Mshahid).

الكلمات المفتاحية: الجسر الرضواني، حسن باشا، الفلوجة، المشيهد.

المقدمة:

مرت الجزيرة العربية بأوضاع سياسية مضطربة ولاسيما في القرن السابع الهجري وما بعده ، إذ شهدت إمارتا مكة والمدينة صراعات أسرية بالغالب من أجل الزعامة ، فضلا عن الصراعات بين الإمارتين.

هذه الأوضاع المضطربة جعلت مدن الحجاز وجوارها مناطق طاردة، إذ تذكر المصادر هجرة الناس من المدن الكبرى مثل مكة والمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام إلى البادية ، كما تذكر المصادر هجرة أُسر من أشراف مكة والمدينة إلى البادية خلاصاً من الحال المضطرب الذي كان يغذيه المماليك والعثمانيين من بعدهم.

وبمرور الزمن تجمع هؤلاء في جبلي حائل (أجا وسلمى) ومنها انطلقوا بهجرات متعددة صوب الشمال إلى العراق ليتشتتوا بعد ذلك فمنهم من استقر بالعراق ومنهم من اتجه إلى الشام وآخرون إلى بر فارس ليعبر أكثرهم الخليج العربي متجهين إلى سواحل اماراته المتصالحة.

ولعل من أكبر تلك الهجرات كانت هجرة عام ١١١٨ هـ/١٧٠٦م التي دخلت البوادي العراقية ، إذ أطلق المؤرخون على هذه الهجرة اسم (شمّر) كالسويدي والمولوي ومرتضى نظمي والعزاوي ولونكريك وغيرهم.

رفض المهاجرون الانصياع لمطالب الوزير العثماني حسن باشا بدفع ضريبة (البيتية) المفروضة على بيوت البادية ، كما حرّضت بعض العشائر السلطات العثمانية على المهاجرين خوفاً من استيلائهم على أراضيهم ، الأمر الذي دفع الوزير العثماني إلى ملاحقتهم والاصطدام بهم في موقعة (المشيهد) غرب الفلوجة بعدة كيلومترات.

فلأهمية الموضوع وخطورته آنذاك ، إذ أن هذه الهجرات الكبرى هي التي حفظت عروبة العراق من المحاولات المحمومة لتفريسه، فقد اخترناه ليكون محور بحثنا لنقدمه إلى المؤتمر الدولي الثاني الذي يوثق لتاريخ الفلوجة في العهد العثماني.. والله ولي التوفيق

إن تاريخ العالم العربي هو تاريخ موجات بشرية متتالية تحركت من قلب الجزيرة، وإن هذه الموجات هي السبب في وجود القبائل العربية في العراق [١]، ولعل من بين أبرز ذلك هو الدخول الكبير للتجمع الشمري الذي تجمع في حائل ومنها انطلق شمالاً [٢] .

ومن المعلوم تأريخياً أن قبيلة شمر الحالية تعد من كبريات القبائل العربية المعاصرة ، وإن بداية تكوينها كان في القرن الحادي عشر الهجري ، واسمها مأخوذ من اسم الشريف شمر بن الشريف حسن بن الشريف محمد أبو نمي الثاني الحسني ، ويعد الشريف مبارك بن الشريف شمر بن الشريف حسن هو أول من التف حوله وآزرته مجاميع من الأشراف الحسنيين والسادة الحسينيين ممن تركوا المدن وسكنوا البوادي وأصبح له نفوذ قوي بين جميع القبائل [٣].

لقد استطاع من ترك المدن وتبدى في النواحي النائية من جزيرة العرب وبالأخص المنطقة التي تعرف اليوم ـ حائل ـ من تأسيس سلطة قبيلة مستقلة ، فأصبحت هذه السلطة مركز جذب واستقطاب للكثير من السلالات الهاشمية التي تفرقت في البادية والحضر لأسباب مختلفة ، وقد حضي هؤلاء باحترام القبائل والعشائر العربية الأخرى التي ما لبثت إن انظمت إليهم لمكانتهم النسبية وخبراتهم السياسية الموروثة وتجاربهم وما وهبهم الله من قابليات قيادية زيادة على هذا كان وما يزال أهل البيت الكرام هم مهوى أفئدة المسلمين [٤].

وعلى هذه الشاكلة جرت هجرة قسم كبير من شمر في سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م من نجد إلى الشمال ، وكان قائدهم الشيخ فارس [٥] بن مبارك بن الأمير عرار ـ فارس نجد وشاعرها ـ الحسيني ، وكان كثير من الزعماء الحسنيين والحسينيين بعشائرهم معه ، وقد اكتسح البلدان الفراتية وحامياتها ابتداء من هيت صعوداً مع نهر الفرات وغربه ، واخضع القبائل ، وانتهى أمر الموالي الأقوياء الذين استمرت الحرب معهم عشرين سنة بتراجعهم من مقر إمارتهم في مشهد الحجر القريب من مدينة عانة إلى داخل الحدود السورية ، وغدا المستولون الشمريون سادة في المراعي الخصبة، ووصلوا بهذه الهجرة إلى تدمر وأعماق بلاد الشام، واستوطن قسم منهم منطقة وقرية جرباء [٦].

وهناك هجرة ثانية حصلت لقسم كبير آخر من شمر بل هي الأضخم في سنة ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م من نجد إلى العراق. وكان قائدهم الشيخ غانم الحسان الشجيري الحسيني ، وكان معه أيضاً بعض الزعماء الحسنيين والحسينيين بعشائرهم [٧]، إلا أن السلطات قد استوحشت من هذا الجمع الشمري الهائل، وجمعت المقاتلين من كل الولايات العثمانية، وتقابل الطرفان في منطقة (المشيهد) القريبة من مدينة الفلوجة والواقعة على مسافة ١٠ كم شرق الرمادي حالياً ، بمعركة دامية شرسة تناثرت فيها الرؤوس وازهقت فيها النفوس، ومما يحكى أن الحكومة من حين استولت على العراق إلى اليوم لم تنل ظفراً مثل هذا، وأن العشائر لم تر حرباً كهذه، ظهرت فيها الشجاعة والفروسية من الجانبين بكل معانيها، وأبلى العربان واستماتوا [٨]، جادلوا بكل طاقتهم وبما أوتوا من قوة، وما زالت هذه المنطقة هي مسكن عشائر البو فهد والبو علوان والبو عرار والشجيرية وغيرهم ممن جاء مع تلك الهجرة [٩].

أما الهجرة الثالثة التي حصلت لقسم آخر من شمر فوقعت في سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م من نجد إلى العراق فقد كانت بقيادة فارس بن محمد الجرباء المنتمي نسباً إلى الدوحة الحسنية ، وولده صفوك ، فاستقروا بادئ الأمر في غربي الفرات الأعلى [١٠].

وفي سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١ م عبر الشيخ فارس من موقع هيت مع قسم من عشيرة الخرصة الحسنية كون موقفه صار مهدداً بالخطر لمتابعة الوهابيين الهجمات على أطراف العراق ، فانتشروا في الجزيرة الفراتية وما زالوا بها حتى اليوم [١١].

وعلى هذه الشاكلة جرت هجرة الأشراف الحسنيين والحسينيين وغيرهم من بني هاشم من موطنهم الأصلي في الحجاز ونجد إلى العراق، وتحديداً إلى ما يسمى اليوم بمحافظة الأنبار، التي كانت تشكل الفلوجة نقطة ارتكازها حينذاك، ومنها هاجر بعضهم إلى المناطق الأخرى من العراق [١٢] والبلدان المجاورة.

يقول بعض المؤرخين واصفاً المنطقة الواقعة بين شمال الفلوجة وغربها إلى هيت خلال القرن الحادي عشر بأنها أراضٍ وعرة خالية واسعة، كذلك ينصرف هذا الوصف على امتداد نهر الفرات من هيت إلى الحدود السورية باستثناء مدينتي حديثة وعانة [١٣].

ونتيجة لهذه الهجرات الشمرية الثلاث فقد غطت منطقة أعالي الفرات والجزيرة الفراتية بالسكان، وقد استوطن كثير من السادة المناصير ـ ذراري أمير المدينة المنورة منصور بن الأمير جماز بن الأمير شيحة ـ الحسيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، وكذلك بعض الأشراف العبادلة الحسنيين ـ ذراري أمير مكة المكرمة الشريف عبد الله بن الشريف حسن بن الشريف محمد أبو نمي الثاني المتوفى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م ربوع تلك المناطق [١٤].

الفلوجة واحداث عام ١١١٨هـ/١٧٠٦م

وعوداً على بدء فلقد أدت حالة عدم الاستقرار والانقسامات إلى حروب كثيره فيما بين العشائر نفسها , وقد يهرب الشيخ المعزول إلى شيخ منطقة أخرى فيحميه ويظاهره على الشيخ المغتصب فتكون الحرب ، فانتشرت روح التمرد الذي تحركه الحاجة إلى القوت , وكانت تحركات القبائل واختلافها ظواهر عاديه في تاريخ المنطقة ، وكان هذا الحال مشجعاً لدخول مجموعة كبيرة جداً من قبيلة شمّر البوادي العراقية واستوطنتها إلا أن هذا الدخول لم يرق للسلطات العثمانية ولا للعشائر الفراتية ولا لشيوخها آنذاك وخير من نقل الصورة الواضحة لوضع ذلك الوقت هو المحامي عباس العزاوي، ومما قاله هذا المؤرخ في حوادث سنة ١١١٨هـ ـ ١٧٠٦ م عن قبيلة شمّر ما يلي [١٥] :-

(إن الوزير "حسن باشا" [١٦] رأى من شيخ شمر غانم الحسان عصياناً، هاجم الشامية وجمع جموعاً فاستولى الرعب على تلك الأنحاء، وكان ممن وافقه شيخ الخزاعل في مناوئة الحكومة، لما رأوا من عزمها أن تقضي على العشائر، إذ استولى على الناس الخوف، إلا أن هذا الوزير أوقف القوم عند حدودهم وولد فيهم خشية، ولما رأى شيخ شمر أن ركونه إلى الخزاعل غير مجد مال إلى بغداد مذعناً بالطاعة وعند خروجه رفع الراية وأبدى أنه صار شيخاً في حين أنه لم يقدم (البيتية) وهي ضريبة تؤخذ على البيوت من أهل البادية ، وانما وافقه على ذلك شيوخ آخرون، رأى الوزير من الضروري التنكيل بهؤلاء لغزوهم ونهبهم وعدم طاعتهم بتأدية (البيتية) فجهز عليهم جيشه وتوجه بنفسه فعبر الجسر الرضواني جنوب الفلوجة ووصل إلى موطنهم فلم يجد لهم أثراً ، فاستراح هناك قليلا ثم فرق جيشه إلى جهات مختلفة للعثور عليهم واللحاق بهم لضربهم ، وذهب بنفسه في الطريق السلطاني حتى وصل إلى منزل (مشيهد) ــ غرب الفلوجة ــ ، فحط ركابه واستراح ولم يقف على خبر لهم، وفي نتيجة التحريات أدركهم جيش الوزير ليلا وصاروا على مقربه منه فلم يقاتلهم حتى الصباح، وحينئذ هجم الوزير بجيشه وأبدى البسالة والشجاعة بما لا يوصف، والعشائر ناضلوا نضالا ليس وراءه نضال، إلا انهم لم يستطيعوا المقاومة ففروا، وفي هذه الحرب نالهم ما لم تنله عشيرة، وان الجند نهبوا مواشيهم وأغنامهم وربحوا منهم أموالاً كثيرة ، ومما يحكى أن الحكومة من حين استولت على العراق إلى اليوم لم تنل ظفراً مثل هذا وان العشائر لم تر حرباً كهذه ظهرت فيها الشجاعة والفروسية من الجانبين بكل معانيها ، وأبلى العربان واستماتوا ، جادلوا بكل طاقتهم وبما أوتوا من قوة ، لكنهم قهروا ، وقتل منهم خلق كثير ، وعلى هذا جاء إلى الوزير من بقي منهم كبار وصغار وأطفال ونساء فطلبوا الأمان فقبل دخالتهم وعفا عنهم) .

ثم يردف ويقول : [١٧]

((كانت هذه العشيرة تظهر الطاعة أحياناً إلا إنها كانت في الخفاء تغري العشائر البدوية وتحرضها على الاشتراك معها ، وبذلك تؤذي السكان غربي الفرات بالنهب والغارة ، أغار عليها الوزير في شعبان فغنم غنائم لا تحصى وعاد إلى بغداد فاستقبله العلماء والوجهاء استقبالا فخماً ، وهذه الوقعة كانت السبب في انفصال شمر طوقه

(طوكه) وبعض العشائر مثل المسعود فتبدد شملهم فصاروا شذر مذر ، فالمسعود استقروا في أطراف المسيب وكربلاء وشمر طوقه في جزيرة حميد بين ديالى و(كوت العمارة) ٠)) [١٨]

اما لونكريك فيروي لنا الحدث قائلاً : [١٩]

((وفي ١٠٧٦ م (١١١٨ هـ) استدعى حال شمّر العقاب ، فعبر الباشا الفرات من جنوب الفلوجة ، وبعد تعقيب شديد انزل بها خسرانات فادحة وسلب أمتعتها)) ، على أن السويدي يقدم لنا وصفاً شاملاً لهذه الوقعة يظهر فيها تحامله على هذا التجمع المهاجر إذ يقول : [٢٠]

((وفي السنة الثامنة عشر بعد المائة والألف ، نجم شر أشرّ الأعراب ، أهل الفساد وأصحاب الخراب، ألا وهم قبيلة شمر ، وهؤلاء قبيلة شرّ قبيلة ! يأخذون الأمان من الولاة ، وعلى هذا مكر وحيلة ثم يأخذون إليهم سائر العشائر، بعضهم ترغيباً، وبعضهم تخويفاً وترهيباً، ويثيرون نار الفتن، ويبقون على الفساد مدى الزمن، وسبب نجوم فسادهم، وعدم طاعتهم وانقيادهم أن شيخهم غانماً وحسان (يقصد غانم الحسان) صارا إلى وادي العصيان ، وحطا إثقالهما في أراضي الشامية وجمعا عليهما أهل الحمية ، حمية الجاهلية ، ظناً منهما أن الوزير كأمثاله ، وزعماً منهما أن فعله بمن تقدم هو النادر من أفعاله وأحواله ، فنازلا أهل الفساد بيت بيت ، وتحدثا بأخبار الخراب كيت وكيت ، وصارا افسد من سلمان واعتراهما الغرور والطغيان ٠

أما الخزعلي المشوم فقد جرّ على رأسه خرقة الجبانة ، خوفاً من البوارق الفالقة وترك التصدي للخيانة هرباً من النيازك الحارقة [٢١].

وأما هما فلما لم يشاهدا حرب الضرغام عيانا ، لم يلويا إلى الانقياد والاستسلام عنانا ، وطفقا بمن معهما ينتهبون القوافل ويقطعون عن السبل الرواحل ، ويأخذون أموال القرى ، ويستخدمون كالأمراء أكابر الورى ٠ ودمروا من بقربهم من الفقراء تدميرا ، حيث عدموا عن ردّ صولتهم نصيراً وظهيراً ، وعاملوهم بالجفوة ، ومؤاخذتهم عند الهفوة ٠[٢٢]

فعرض أهل القرى أحوالهم على الشهم المظفر، وشكا أهل القوافل لدى الليث الغضنفر، فسار إليهم الوزير المنصور، بالخميس المظفر المحبور، ورجال كماة، وأبطال رماة ، وفرسان اجياد ، ونجابة اطواد ، وكتيبة إسكندرية ، وعصابة رستمية ، ولما عبر بهم جسر الرضوانية [٢٣] ، وقارب محل الجمعية ((رأى الدار قفرا والمزار بعيدا)) ٠

وانهم قد انذروا بقدومه ، وخافوا صولة هجومه ، فهربوا خائفين، وتسللوا متخافتين ، ثم أن الوزير جلس هنيهةً للاستراحة ، واختلس غفوة للراحة ، وجعل العسكر أربع طرائق سار كل إلى جهة بالأعداء لاحق ، فساروا على شاطئ الفرات، كل أخذ ناحية، مفتشين الجهات عن تلك الفرقة الباغية [٢٤]٠

فلما سار الوزير بخواصه الفرسان ، كان سيره إلى ناحية المشهد (يقصد المشيهد) ، كما سار كل من تلك الفرق إلى جهة ومقصد .

ولما أشرف بجمعه على ذلك المكان ، شاهد خيام الأعداء تعلو في أكنافها النيران ، وأبصرهم نزولاً رأي العين، قد سدت خيامهم بذلك المكان الخافقين، وهم أبصروه كذلك ، وشاهدوا سواد خميسه الحالك ، فتأهبوا للتلاقي، وامتطوا خيول السباق، وعبّوا كتائبهم خيلاً ورجلاً ، ورصدوا دون منازلهم بنادق ونبلاً، فحاولت جنود الله المنازلة، ورامت المقاتلة والمجادلة، أولئك الكماة الشجعان، والغزاة الفرسان ، المبدون عند لقاء العدوّ الاستبشار، المفصح عن حالهم قول بشار شعراً (من الطويل):-

وكنا إذا دب العدوّ لسخطنا**وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه

ركبنا له جهراً بكل مثقف**وابيض تستسقى الدماء مضاربه

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى**وبالشوك والخطى حمرا نغالبه

غدونا له والشمس في خدر امّها**نطالعها والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه**وتدرك من نجى الفرار مثالبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا**وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

بعثنا لهم موت الفجاءة إننا**بنو الموت خفاق علينا سبائبه

فلم يأذن الدستور لأحدهم ، ولم يعتن بعدد الأعداء وعددهم ، بل تردى بدرعه، وعدا دون ربعه ، آخذاً بغمده اللدن السنان ، متنجداً سيفه الصقيل اليمان ، وبرز كالطود الطاوي ، وخرج من بين الصفوف كالضيغم العادي ، وصار في الميدان يجول، ويكر على الأعداء ويصول، ينظم الأبطال بأسمره ، وينشر هام الرجال بأبيضه ، ويقضي على العدو بقطع أبهره ... ثم تناوشتهم الضراغم من كل جانب، وتراجعت عليهم الأبطال من كل مبارز محارب، فروي الأسمر بعد ظمأه وشبع الأبيض بعد السغب من هام أعدائه ، ونثرت الرؤوس ، وأزهقت النفوس ، وقامت الحرب على ساق ، وظهر في الأعداء الانمحاق ، وندموا على ما عولوا ، وعاتبوا نفوسهم على ما فعلوا ، وهربوا من بين الناب والظفر ، وحف الله الأحزاب بالنصر ، ورمى أهل الخراب بالذل والقهر ، وكشر لهم الشوم عن ناب مكفهر ، وتركوا الخيل والأطفال، وصارت الجمال والأغنام ، وسائر الثروة بيد الاستغنام ، ولجوا إذ ولجوا في غيل صعب الدخول ، لا يمكن إليهم الوصول، طوله مقدار أربعة فراسخ ، وعرضه مقدار فرسخ ، وتركوا نساءهم فرائس الأشبال ، وفدوا أنفسهم بالعيال والمال .

ثم لما عزم المظفر على الرحيل ، والرجعة بعد قضاء الوطر على التكمين ، لطف بالأطفال والبنات والنساء الثيبات ، وأطلقهم ، ووجههم إلى ناحية أهاليهم ، وبمن نجا ألحقهم ، فيا لله دره من رجل سعيد ذي سعود !! ويا حبذا متخلق بأخلاق المكارم والجود ، ولم يتفق مثل هذا الظفر ، منذ فتح بغداد إلى هذا السفر ، واقر أعداؤه

اللئام الأبطال ، بأنهم ما شاهدوا قط هذه الأهوال ، من غيره في صف القتال ، على أنهم قاتلوه قتال مشتد ، وصالوا عليه صولة محتد ، خوفا على عيالهم وأنفسهم وأولادهم ، وان اسراءه الصغار والكبار والنساء الثيبات والإبكار ، حين أرجعهم يحمدون شيمه أجمعهم ٠

ثم انه رجع إلى بغداد ، وخرج لاستقباله العلماء والأمراء ، والأكابر والرؤساء ٠٠٠))

وتعقيباً على رواية السويدي وما فيها من المدح والإطراء ومباركة لما فعله هذا الباشا فنقول : إن ما كتبه السويدي العربي العباسي الهاشمي بقلمه هو أكثر مضاضة مما فعله الباشا التركي بسيفه فانا لله وانا إليه راجعون [٢٥]٠

لكننا مع ذلك ربما نجد في تحامل السويدي ـ وهو سليل الأسرة العباسية الشريفة ـ على الأشراف وتجمع شمّر ما يسوغه من جانبنا إذا ما علمنا وعرفنا حقيقة ودوافع تأليف الكتاب نفسه ٠

فالسويدي ولد سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م وأحداث الكتاب جرت قبل ولادته أصلاً، وإذا ما علمنا أن هذا الكتاب تم تأليفه بناءً على طلب وتكليف من السيدة خديجة خانم بنت قرة مصطفى باشا، التي نقل رغبتها موفد لها إلى السيد عبد الرحمن السويدي ((في أن يؤلف كتاباً مستقلاً في سيرة واليي بغداد ، جدها الوزير حسن باشا وخالها الوزير أحمد باشا ٠)) [٢٦]٠

وقد لاحظ الشيخ السويدي ((أن معلوماته عن السنين التي سبقت ولادته أو التي لم يكن يعي أحداثها لصغر سنه، مستمدة في اغلبها مما رواه له أبوه الشيخ عبد الله ٠٠ ومن روايات كان قد سمعها من آخرين ٠٠ علماء وموظفين وقادة عسكريين ٠)) [٢٧].

فكيف سيكتب لهذه الخانم تاريخ جدها وخالها ، هل يذكر الحقائق على عواهنها ليضمنها كتاباً تريد هي أن تفتخر فيه وتعتز ؟ وهل يطلق لخياله العنان ليروي الأحداث على حالها ؟ أم يذكر لها كل جميلٍ وكل مؤثرٍ وكل نصرٍ مطنباً في أوصاف البطولة والفداء ، وما سواه فهم أوغاد واعداء وشرّ القبائل ، اشرّ الأعراب ، أهل الفساد واصحاب الخراب ٠٠٠الخ من النعوت ، وهو هنا يذكرنا بأبي إسحاق الصابي يوم الّف كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية لعضد الدولة البويهي بعد أن كان قد غضب عليه وقرر أن يلقيه تحت أقدام الفيلة ، فتشفعوا له واطلق سراحه آمراً إياه أن يؤلف كتاباً في أخبار دولتهم الديلمية ، فألّف كتاباً سماه (التاجي) نسبة لأحد ألقاب عضد الدولة البويهي ٠

فكيف سيكتب تاريخ دولتهم ، هل سيدوّن مالهم وما عليهم أم ينمقه ويبعد عنه كل شائبة؟ وقد كان الجواب عند الصابي نفسه يوم دخل عليه صديق له ، فوجده مشغولاً بالتعليق والتسويد والتبييض ، فسأله عما يشغله فأجابه : ((أباطيل أنمقها ، وأكاذيب الفقها ٠)) [٢٨] ، وهنا نقول كيف سيكتب السويدي لهذه الخانم تاريخ أهلها ؟ ٠

ولاشك أن السياسة العثمانية القائمة على فرض الضرائب ونهب الأموال باستمرار في وقت ضلت فيه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة سمة عامة عادت إلى مقاومة شديدة ، ولا سيما أن السلطة كانت تلجأ في الأعم الأغلب إلى استخدام القوة المسلحة لإكراه العشائر على الخضوع لها .

لقد استقر هذا التجمع الكبير من شمر بقيادة الشيخ غانم الحسان في منطقة المشيهد الواقعة غرب الفلوجة بينها وبين مدينة الرمادي ١٠ كيلومتر تقريباً [٢٩]، وغانم الحسان هو من ذرية علي الخواري بن الحسن الثائر ، وحسن هذا أعقب أربعة أولاد هم محمد المليط والحسين الأكبر وطاهر وعلي الخواري وهؤلاء الأربعة يسمون (الملطة) وحسن الثائر بن أبو الحسن جعفر الخواري ، وجعفر هذا يقال لجميع ولده الشجرية ، إلا أن الحسن الشجري بن علي الخواري قد اختص بها ، وجعفر الخواري بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام [٣٠] ، ونسبه هو [٣١] : ((غانم ـ كان حيا سنة ١١١٨ هـ/١٧٠٦م ـ بن حسان بن ذياب بن ذياب بن زين الدين بن ناصر الدين بن الحسين بن سلطان بن كمال الدين بن الحسين بن سلطان بن احمد بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن سالم بن علي بن صبره بن موسى بن علي الخواري المذكور[٣٢] ، إذاً فالشجرية أو الشجيرية ـ كما يطلق عليهم اليوم ـ هم ساده حسينيون لا شك في نسبهم ، ومن قال غير ذلك فهو على خطأ ، ومنهم آل غانم الحسان شيوخ الأسلم من شمّر اليوم ، وان منطقة السجارية التي تسكنها اليوم قبيلة البو فهد كان اسمها سابقا الشجرية فسميت تحريفاً الشجارية أو السجارية ، وهذا معلوم عند جميع البو فهد [٣٣].

ويصف لنا لونكريك [٣٤] المنطقة المحصورة بين الفلوجة وهيت فيقول : ((وإلى شمال منطقة ناصر وغربها كانت سطوة أبي ريشه المشهورة سائدة، وربما كانت بين المنطقتين أراضي وعره وخاليه واسعة .)) أي من منطقة الفلوجة إلى هيت هي المعنية بالخلوّ والسعة والوعورة ، والمقصود بناصر ، هو أمير القشعم ناصر بن مهنا ، ومنطقة المشيهد التي وقعت فيها المعركة بين القوات العثمانية وتجمع شمر تقع على طريق فلوجة ـ هيت، ولاشك أن هذه المنطقة واسعه تمتد على نهر الفرات بمسافة ١٠٠ كيلو متر أو يزيد على طفوف صحراء الشامية الواسعة ذات الكلأ الوفير والماء الغزير وهذا كل ما يتمناه البدوي[٣٥] ، ولكن شمّر ليس هذا كل مناها بل تكتم في داخلها شعورا تحررياً من التسلط الأجنبي ، وما دواعي تركها لموطنها الأصلي في الحجاز ونجد إلا لأنها ثارت بوجه الدخلاء سواء كانوا من المماليك أم المغول أم الأتراك أم عملائهم من الذين كانت تحركهم جهات أجنبية عاملة في جزيرة العرب ، أو ممن كان يتستر بصفة السياحة أو الاستشراق [٣٦].

الخاتمة

من خلال هذا البحث المتواضع اتضح لنا ما يلي:

- الفلوجة من بين أهم مدن محافظة الأنبار القديمة.
- هذه المدينة كانت هي الممر الحيوي لكل الهجرات العربية التي قدمت من الجزيرة العربية متجهة إلى المراتع الخصبة ، بل وهي الممر الذي لا غنى عنه الذي يربط العراق والجزيرة العربية بالشام ومصر.
- كان هناك جنوبي الفلوجة جسرا معقود على الفرات يسمى بالجسر الرضواني ، ذلك الجسر الذي عبره المهاجرون كما عبره الجيش العثماني لملاحقتهم.
- المشيهد اليوم يُطلق عليها تلة المشيهد وهي كانت تابعة للفلوجة يوم لم تكن مدينة الرمادي موجودة ، فهي تقع غرب الفلوجة بمنتصف الطريق بينها وبين والرمادي.
- بعد المعركة التي رجحت فيها الكفة للعثمانيين تشتت التجمع الشمري وانتشر في ربوع العراق والشام والخليج العربي بساحليه.
- اتضح من خلال البحث ان العراق كان مقصداً لهجرات كبرى قادمة من الجزيرة العربية ، وان هذه الهجرات هي التي حفظت وجه العراق العروبي بعد محاولات عدة لتفريسه.
- وبذلك تكون الفلوجة قلب العراق النابض الذي ضخ له الدماء الجديدة والتي ساهمت في الحفاظ على عروبته .

الهوامش والتعليقات

ملاحظة: سأذكر هنا المعلومة كاملة عن المصدر والمرجع ما يغنينا عن اعداد قائمة للمصادر والمراجع

[١] لونكريك ، ستيفن هامسلي ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤ ، (بغداد ١٩٦٨م) ، ص ٧٢، ٧٤

[٢] حائل مدينة تقع في شمال نجد ، وهي مقر امارة منطقة حائل ، وتشتهر بالجبلين الشهيرين ((اجا وسلمى)) ، وهي تقع في سفح جبل اجا من الشرق ، غربي وادي الإديرع وفي قلبها تقع بئر سماح ، وتطل قمم اجا على المدينة ، بل يكاد الجبل ان يحتظنها ، إذ يحدّها من الشمال والغرب ، وكانت حائل في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين مركزاً لإمارة الجبل التي حكمها آل علي ومن بعدهم اسرة آل رشيد ، وامتد نفوذها وقت قوّتها إلى معظم ارجاء نجد وبعض المناطق المجاورة حتى احتلها عبد العزيز آل سعود في عام ١٩٢١ م ، بعد ان اصابها الضعف وانهكت اهلها الحروب ، ينظر : الجاسر ، حمد ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، ق١، ص ٢٩٣، انظر كذلك : الوكيبيديا ar.m.wikipeda.org

[٣] العبدلي ، جاسم محمد ، التجمع الشمري ، قراءة في هجرته صوب العراق والشام ، بحث على الآلة الكاتبة ، ص٥

[٤] المصدر نفسه ، ص٦

[٥] العبدلي ، جاسم محمد ، الأخبار اللطاف في هجرة الأشراف ، بحث على الآلة الكاتبة ، ص ٨

[٦] لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص١٠٣ـ١٠٤؛ العبدلي ، التجمع الشمري ، ص٨

[٧] السويدي ، عبدالرحمن بن عبدالله ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، تحقيق د٠ عماد عبدالسلام رؤوف ، (بغداد ٢٠٠٣) ، ص١٠٠ ؛ لونكريك ، اربعة قرون ، ص١٠٤

[٨] السويدي ، المصدر نفسه ، ص١٠٤ـ١٠٥

[٩] العبدلي ، التجمع الشمري ، ص٧

[١٠] للتفاصيل عن هذه الهجرة ينظر : العزاوي ، عباس ، عشائر العراق ، (بيروت ، بلا) ج٣، ص٢٠٣، السامرائي ، قاسم حسن آل شامان ، الياقوت المنثور في ذرية الأمير منصور ، دراسة قيد الإنجاز ، ص١١٩

[١١] لونكريك ، المصدر السابق ، ص٢٦٠

[١٢] العبدلي ، التجمع الشمري ، ص٧

[١٣] لونكريك ، المصدر السابق ، ص٥٦

[١٤] العبدلي ، التجمع الشمري ، ص٨

[١٥] تاريخ العراق بين احتلالين ، (بيروت ، بلا) ج٥ ، ص ١٦٩ـ ١٧٠

[١٦] الوزير حسن باشا بن مصطفى بك ، تولى ولاية بغداد ، وقد الّف السيد السويدي كتابه سابق الذكر في مناقبه ، تولى حسن باشا مسؤوليته في بغداد ما بين (١٣ صفر ١١١٦ هـ وحتى جمادى الآخرة ١١٣٦هـ) ، رؤوف ، د ٠عماد عبدالسلام ، ادارة العراق (بغداد ١٩٩٢م)، ص٦٠

[١٧] العزاوي ، تاريخ العراق ، ج٥ ، ص١٧٠

[١٨] العزاوي ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٨ـ١٩٩

[١٩] اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص١٥٦

[٢٠] حديقة الزوراء ، ص١٠٠ وما بعدها

[٢١] السويدي ، المصدر نفسه ، ص١٠١

[٢٢] السويدي ، المصدر والصفحة نفسيهما

[٢٣] يعلّق الدكتور عماد عبدالسلام على جسر الرضوانية فيقول : ((سمّاه العزاوي ، الجسر الرضواني ، والرضوانية ارض في الجانب الغربي من بغداد لما تزل معروفة ، ولكن ليس واضحاً موقع هذا الجسر ، والظاهر انه كان منصوباً على نهر الفرات ، بدلالة ما ذكره مرتضى آل نظمي في كتابه (كلشن خلفا) ص٣٢٢ من ان الوالي المذكور عبر نهر الفرات واتجه نحو تجمعاتهم ، وتجمعاتهم تلك كانت تقع غربي نهر الفرات)) ، حديقة الزوراء ص١٠١، هامش المحقق ، مخطوطتنا : الياقوت المنثور ، ص١٠٦

[٢٤] السويدي ، المصدر السابق ، ص١٠٠ وما بعدها

[٢٥] العبدلي ، الأخبار اللطاف ، ص٢٢

[٢٦] السويدي ، المصدر السابق ، ص٣ـ٤ مقدمة المحقق

[٢٧] السويدي ، المصدر والصفحة نفسيهما

[٢٨] ابن خلكان ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د٠ احسان عباس ، (بيروت بلا) ج١ ، ص٥٣ ، وانظر كذلك كتاب المنتزع من كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية ، لأبي اسحاق الصابي ، تحقيق د٠ محمد حسين الزبيدي (بغداد، ١٩٧٧م) ص٦ مقدمة المحقق

[٢٩] وبصدد ((المشيهد)) فلابد لنا من الإشارة إلى ان الدكتور عماد عبد السلام رؤوف بدا مرتبكا في تحديد موقعها الجغرافي من خلال تحقيقه لحديقة الزوراء للسويدي ، إذ يذكر في صددها هامش ص١٠٢ما نصه : ((لم يذكر ـ يقصد مؤلف الحديقة ـ ايّ مشهد يعني ، والراجح انه مشهد علي (عليه السلام) في مدينة النجف ، لكن عباس العزاوي يذكر انه وصل ـ اي الوزير ـ إلى منزل المشيهد فحط ركابه ، فهو هنا بالتصغير ، وعلى وفق سياق عبارته يكون مجرد منزل او محطة على الطريق)) ، لكن العزاوي يذكر المشيهد في فهارس كتابه ص١٧٠هكذا : مشيهد (الرمادي) ، كما ان المحقق الفاضل لم ينتبه حسبما يبدو إلى كلام لونكريك الذي يوضح موقع المنطقة المذكورة آنفاً إذ يقول :

((فعبر الباشا الفرات من جنوب الفلوجة)) ، المصدر والصفحة نفسيهما ، ما يحسم امر تحديدها في الأنبار بين الفلوجة والرمادي. واقول لازال هذا الاسم يُطلق على تلك التلة غرب الفلوجة

[٣٠] العبدلي ، الأخبار اللطاف ، ص٢٣

[٣١] العزاوي ، عشائر العراق ، ج١ ، ص ٢٠٧ ؛ تاريخ العراق ، ج٥ ، ص ١٩٧

[٣٢] ابن شدقم ، ضامن ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار ، تحقيق كامل سلمان الجبوري (بيروت ١٩٩٩م) ، مجلد ٢ ، ق١ ، ص١٩١ وما بعدها

[٣٣] العبدلي ، الأخبار اللطاف ، ص٢٣

[٣٤] اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص٥٦

[٣٥] العبدلي ، الأخبار اللطاف ، ص٢٣

[٣٦] المصدر والصفحة نفسيهما.